كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بدمياط الجديدة
المجلة العلمية
العدد (١١) ديسمبر ٢٠٢٢م

المظاهر الدلالية والاشتقاقية للإحسان في القرآن الكريم
(دراسة تحليلية)

الدكتورة
حامدة أحمد عثمان أزرق

أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية
كلية العلوم والآداب بمحايل عسير
جامعة الملك خالد

الملخص باللغة العربية والإنـجليزية

ملخص البحث:

تناولت الدراسةُ مجموعة من الآياتِ الكريمةِ التي تضمنتْ لفظَ "الإحسان" لإبرازِ المظاهر الدلالية الاشتقاقية لها ،آخذة بآراء المفسرين في تحديد نفائس المعاني، التي تنضوي تحتها؛ لبيان أهمية الإحسان في حياة الإنسان، ما أعده الله للمحسنين، من الأجر والثواب في الحياة الدنيا والآخرة ،أُتبع فيها المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على وصف الظاهرة، واحتوى على توضيح معاني الإحسان ودلالاتها المتمثلة في: التوحيد ، الإيمان، الإخلاص، البر والصلة، العلم، الإنفاق في سبيل الله، المطر والخصب، والتمكين، ومضاعفة الثواب والمكافئة والصلوات والصفح والصبر على الأذى ، والتَّفضل، والبيان والوضوح، والغنيمة والشهادة ، وتمام الخَلْق والجنَّة، والعمل الصالح واستندت على شواهد من القرآن الكريم والسنة النبوية إثراء لها وخلصت الدراسة على عدة نتائج تم إثباتها في خاتمة البحث .

الكلمات المفتاحية: الإحسان - مظاهر – اشتقاق – دلالة.

Abstract:

The study dealt with a number of noble verses that included the term “charity” to highlight the semantic manifestations of it, taking the views of the commentators in determining the precious meanings, which fall under them; To clarify the importance of charity in human life, what God has prepared for the doers of good, of reward in this life and the hereafter, the descriptive analytical approach was followed, which depends on the description of the phenomenon, and contained clarification of the meanings of benevolence and its connotations represented in: (Tawheed, faith, sincerity, righteousness and connection, Knowledge, spending in the way of God, rain and fertility, empowerment, multiplication of reward and reward, prayers, forgiveness, patience over harm, kindness, clarity, clarity, booty, testimony, perfect creation and Paradise, and good deeds based on evidence from the Holy Qur’an and the Prophet’s Sunnah enrichment The study concluded with several results that were proven in the conclusion of the research

Keywords: Charity, Manifestations , Derivation, Meaning

المقدمة:

الحمد للهِ، الذي أنزل القرآن، هدًى للعالمين، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، والهداية لا تتأتى إلا بتدبره وفهم معانيه ولذلك ربط الله التنزيل

بالتدبر فقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وحقيقة التدبر هي إمعان النظر والتفكر في سياق الآية، والربط بين كلماتها للوصول إلى معرفة

المقصود منها، فلكل كلمة في القرآن الكريم معنى في ضوء سياقها قد لا يصلح هذا المعنى لسياق آخر.

فدلالة السياق هي واحدة من أهم دلالات فهم النص القرآني، لما له من أثر بالغ في تعين المراد من اللفظ، فقد يرد اللفظ الواحد في أكثر من موضع، وله في كل موضع معنى يختلف عن المعنى الآخر، والذي يعين على فهم معانيه، في تلك المواضع هو السياق، كما يتضح ذلك في غضون هذه الدراسة – إن شاء الله – التي انبثقت فكرتها بقراءتي للقرآن الكريم والسنة المطهرة إذ لفت نظري شيوع ذكر كلمة الإحسان، فتتبعتُ كتب التفسير واللَّغة فوجدتها جاءتْ عند المفسرين وأهل اللغة بمعان ودلالات متعددة، ومن هنا جاء موضوع الدراسة (المظاهر الدلالية والاشتقاقية للإحسان في القرآن الكريم)عنوانًا لها.

تنبع أهمية الدراسة من كون الإحسان من القيم الدينية الرفيعة التي أمرنا الله بها، وحضَّنا عليها وعلى أهميتها ومكانتها وعظيم شأنها في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، وللإيفاء بمتطلَّبات الدراسة أتبع المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على وصف الظاهرة.

جاءت الدراسة في مقدمة وثلاثة محاور: **المحور الأول**: تعريف الدلالة في اللغة والاصطلاح **المحور الثاني**: تعريف الإحسان في اللغة والاصطلاح، **والمحور الثالث**

ينحصر في بيان مشتقات الإحسان التي وردتْ في القرآن الكريم، وأثر ذلك في تعدد المعنى عند مفسري القرآن، ثم الخاتمة، والتوصيات

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى الآتي:

١- توضيح المظاهر الدلالية والاشتقاقية للإحسان في القرآن الكريم والوقوف على ما تؤديه كل مفردة من معنى.

٢- ذكر جماليات التعبير القرآني في العدول عن الصيغ القياسية إلى إحدى هذه الصيغ ومقارنتها بما ورد من نفس مادتها على الصيغة القياسية مثل: الإحسان، محسن، محسنين أحسن، و، محسنون، حسنة بالرجوع إلى أمهات المصادر والمراجع في التفسير، اللغة وعلم الدلالة، والصرف والنحو.

٣- توضيح القيم الدينية المستفادة من الإحسان وأثرها على الفرد والمجتمع.

٤- ربط الدراسة بالقرآن الكريم، وعرض شواهد تؤكد معاني الإحسان ودلالاته

مشكلة الدراسة:

تنحصر مشكلة الدراسة في عدة تساؤلات:

١- ما المظاهر الاشتقاقية للإحسان في القرآن الكريم؟

٢- ما المعاني التي تحتويها تلك الاشتقاقات في القرآن الكريم؟

٣-هل بالإمكان وضع صيغة ما، مكان أخرى ويستقيم المعنى؟

المحور الأول
تعريف الدلالة في اللغة والاصطلاح

أولًا: تعريف الدلالة في اللغة :

تدلُّ مادة (دَلَل) على إبانة الشيء، ثم اشتق من الأصل كلمة (دلالة)، وهي مصدر الفعل (دلَّ) يدل دلالة، وأدللت الطريق: اهتديت إليه والدَليلُ: ما يُسْتَدَلُّ به، ولدلالة ثلاث لغات: دَلالَةً ودِلالَةً ودُلولَةً، بفتح

الدال وكسرها وضمها، والفتح أعلى [١] فالدلالة بمعناها اللغوي، تعني الإرشاد إلى الشيء والإبانة عنه وتدللت المرأة على زوجها، ودلت تدل، وهي حسنة الدلّ والدلال. [٢]

وأدلّ على قريبه وعلى من له عنده منزلة، وأدل على قرنه، وهو مدلّ بفضله وشجاعته، ومنه أسد مدلّ، ولفلان عليّ دلال ودالة، وأنا أحتمل دلاله، ومن المجاز: " الدالّ على الخير كفاعله " [٣] وبهذا يكون الملمح الدلالي هو الهداية والإرشاد.

ثانياً: تعريف الدلالة في الاصطلاح

---

[١] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ص١٥٩٦ مادة (دلل)

[٢] لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم أبي القاسم بن منظور (ت٧١١هـ، طبعة دار المعارف القاهرة ١٩٩١م، ص١٣٩

[٣] أساس البلاغة المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ ج١ ص ٢٩٥ كتاب الدال (د-ل-ل)

عرفت الدلالة في الاصطلاح بأنَّها: " كون الشيء بحالةٍ يلزمُ العلمُ به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدَّال والثاني هو المدلول" [١]، ويمكن القول إنَّ العلاقة بين الدال والمدلول هي تلك العلاقة التي تربط بينهما.

فقد استقر في المفهوم اللغوي الحديث أن الدلالة هي: " العلاقة بين الدال (اللفظ)والمدلول (المعنى)[٢]

عرَّفه بعضهم بأنَّه: " دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى" أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى [٣] ونخلص إلى أنَّ الدلالة تفيد الكيفية التي يتم فيها استعمال المفردات ضمن سياق لغوي معين وبيان علاقته بالدال والمدلول.

المحور الثاني

معني الإحسان لغة واصطلاحًا

أولًا: الإحسانُ لغة:

مصدر أحسن يحسن إحسانًا، والإحسانُ ضدُّ الإساءة، ويطلق على معنيين: الأول: متعدٍ بنفسه كقولك: " أحسنتً كذا" وفي كذا إذا أحسنته، الثاني: متعدٍ بحرف الجر كقولك: " أحسنتُ إلى كذا" وفي كذا أي: أوصلت إليه ما ينتفع به [٤]

قال الجرجاني: " هو فعلُ ما ينبغي أن يفعل من الخير"[٥]

---

[١] كتاب التعريفات، تأليف: على محمد بن علي الجرجاني (ت٨١٦هـ) تحقيق: عبد المنعم الحنفي، دار الرشاد- القاهرة١٩٩١م، ص١٣٩

[٢] علم الدلالة بين التنظير والتطبيق، أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية –بيروت ١٤١٣هـ-١٩٩٣، ص٨٤

[٣] علم الدلالة، أحمد مختار، الناشر: عالم الكتب ط١ ١٩٨٥م ص ١١

[٤] شذا الرياحين في بيان مراتب الدين، جمع وترتيب أبو أحمد عبد العاطي الذهبي، ص٣٦

[٥] معجم التعريفات، للعلّامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (ت٨١٦ هـ)، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، ط ١٤١٣ص ١٣

والحَسَن ضِدُّ القُبْيح، يقال رجلٌ محسن، ومحسان؛ للتكثير، وامْرَأة حسناءُ وحُسانَةٌ [١]

وَيُجْمَعُ الْحَسَنُ صِفَةً عَلَى حِسَانٍ، وَأَحْسَنْتَ فَعَلْتَ الْحَسَنَ، كَمَا قِيلَ أَجَادَ إِذَا فَعَلَ الْجَيِّدَ، وَأَحْسَنْتُ الشَّيْءَ عَرَفْتُهُ

وَأَتْقَنْتُهُ وزينته، والمَحْسن الموضِع الحسن من البدن، وجمعه محاسن[٢]، وحُسَان وحُسّان، وجمع الحَسناء من النساء: حِسان .

لا يقال للذكر أحْسَن إنَّما يقال: هو الأحسن على إرادة التفضيل، والجمع الأحاسن، وأحاسِنُ القوم: حِسانهم وفي الحديث: " أحاسِنُكم أخلاقًا المُوَطَّؤون أكنافًا "[٣]. الملمح الدلالي: أن الإحسان هو: إجادة العمل وإتقانه، والإخلاص فيه .

ثانيًا الإحسان اصطلاحًا :

يختلفُ معنى الإحسان اصطلاحا باختلاف السّياق الّذي يرد فيه، فإذا اقترن بالإيمان والإسلام كان المراد به: الإشارة إلى المراقبة وحسن الطّاعة، إخلاص العبادة، قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا [الإسراء: ٧].

أمّا إذا ورد "الإحسان" مطلقا فإنّ المراد به واحد من أمور ثلاثة:

الأوّل: كون الشّيء ملائما للطّبع وضدّه القبح بمعنى كونه منافراً له.

الثّاني: كون الشّيء صفة كمال وضدّه القبح وهو كونه صفة نقصان وذلك مثل العلم والجهل.

الثّالث: كون الشّيء متعلّق المدح وضدّه القبح بمعنى كونه متعلّق الذّمّ. [١]

---

[١] معجم مقايس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر ١٣٩٩هـ-١٩٧٩ م، ج٢ ص ٥٧، باب الحاء والسين وما يثلهما.

[٢] كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي منشورات محمد على بيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ج، ١ ص ٣١٨ باب الحاء المحتوى (أ-ح)

[٣] لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور. الناشر: دار صادر-بيروت؛ ج١١، ص١١٥

درجات الإحسان

قال الراغب الأصفهاني: الإحسان على وجهين:

أحدهما: الإنعام على الغير، والثاني: إحسان في فعله؛ وذلك إذا عَلَّمَ علمًا حسنًا، أو عمل عملًا حسنًا. وبهذا المعنى أنّ الإحسان أعم من الإنعام؛ لأنَّه يشمل نفس الإنسان وغيره أمَّا الإنعام لا يكون إلا لغيره. [٢]

مراتب الإحسان:

الإحسان على مرتبتين، كل واحدة أعلى من الأخرى. كما جاء في الحديث: [٣]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، - رضي الله عنه - قَالَ: " كان النبيُّ – صلى الله عليه وسلم- بارزًا يومًا للنَّاس، فأتاه رجُلٌ فقال: ما الإيمان؟ قال: أنْ تؤْمِنَ بالله، وملائكته، وبلقائِه ورُسلِه، وتؤْمن بالبعث. قال ما الإسلامُ؟ قال: الإسلامُ أنْ تعبد اللهَ ولا تُشْرك به، وتُقِيم الصَّلاة وتُؤدي الزكاة المفرُوضة، وتصوم رمضان. قال ما الإحسان؟ قال أنْ تعبد اللهَ كأنَّك تراهُ، فإن لم تكنْ تراُ فإنه يراك "

يتضح من الحديث أنَّ الدين على ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وكل مرتبة لها أركان، والإحسان أعلاها. فالإسلام يمثل أعمال الجوارح.. والإيمان يمثل

---

[١] موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم-، إعداد مجموعة من المختصين بإشراف: صالح عبد الله بن حُميد، و عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن ملُّح. ط١. ص٦٨

[٢] المفردات في غريب القرآن، تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد الاصفهاني، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، ج ١ ص ١٥٦

[٣] صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط ١٤٢٣ - ٢٠٠٢ م، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة ص٢٣ حديث رقم ٥٠

أعمال القلوب والإحسان إتقان تلك الأعمال[١] ، فهو أعلى مراتب الدين وأعظمها أرقى منازل العبودية، ولبّ الإيمان، وروح الإسلام، وهو شاملٌ لجميع الأقوال والأفعال، فقد جاء الأمر به عامّاً مطلقاً قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [النحل: ٩٠\] فالإحسان أعلى منزلة من العدل؛ لأنّ العدل إعطاء الإنسان ما عليه، وأخذ ما له، أمّا الإحسان فهو تقديم الإنسان أكثر ممّا عليه، وأخذ أقلّ ممّا له، قال تعالى: ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]، لذلك كان ثواب المحسنين أكبر وأعلى درجةً. قال تعالى: ﴿أن الله يحب المحسنين ﴾[البقرة: ١٩٥]

ثم بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أن النَّاسَ على قسمين: من يعبد الله كأنه يشاهده هو ينظر إليه. ومن يعبد الله وهو يستحضر أن ربه يراه، وتسمى الحالة الأولى: عين المشاهدة، وتسمى الحالة الثانية: عين المراقبة، فعينُ المشاهدة: تستحضر كأنك تشاهد الله وأنَّه أمامك، حتى تجتهد في إتقان العمل، وتؤديه على أكمل وجه، أمَّا عين المراقبة: فإن لم تكن تراه فإنه يراك ويطلع عليك ويعلم مكانك ويسمع مقالك ويعلم بجميع أحوالك، ما تتلفظ به وما لا تتلفظ به.

قال - سبحانه - وتعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٨]

وقوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه: ٤٦]

[١] شرح الأصول الثلاثة، تأليف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى - ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، ج ٦٢، ص١٣

المحور الثالث

بيان المعاني المتعددة للإحسان عند مفسري القرآن الكريم

الإحسانُ صفة من صفات الله - عز وجل - التي وَصْفَ بها نفسه، فهو المُحْسن الذي أحْسنَ إلى جميع الخلق بنعمٍ لا تعدّ، ولا تحصى قال الله تعالى: ﴿ الذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلقَ الإِنسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾[السجدة: ٧سورة:]

لذا جاء الأمر به؛ لأن الجزاء من جنس العمل قال تعالى: ﴿ أَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾. [القصص: ٧٧]

وقوله: ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

المعنى الأول: الإحسان يعني التوحيد:

التَّوحيد هو أن يشهد العبد: (أنَّ لا إله إلا الله)، التي تعني البراءة من عبادة غير الله، وإثبات العبادة لله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، قال النبيُّ – صلى الله عليه وسلم -: "يا مُعاذ، أتدري ما حقَّ الله على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا، أتدرون ما حقَّهم عليه؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال أن لا يعذبهم "[١]

ورد الإحسان بمعنى التوحيد في قوله الله تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾ [النساء: ١٢٥] (أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ) مَعْنَاهُ أَخْلَصَ دِينَهُ لِلَّهِ وَخَضَعَ لَهُ وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِالْعِبَادَةِ (وَهُوَ مُحْسِنٌ) ابْتِدَاءٌ وَخَبَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَيْ مُوَحِّدٌ لله لا يشرك به شيئًا، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَوْ

[١] صحيح البخاري، كتاب التوحيد، ص١٨٢٠ حديث رقم ٧٣٧٣

تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (١٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [١٥٧-١٥٨: الزمر]

قال البغوي: "تقول حِينَ تَرَى الْعَذابَ، عَيَانًا، لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً، رَجْعَةً إِلَى الدُّنْيَا، فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ " أي: الْمُوَحِّدِينَ. [١] وفي ذات المعنى قال تعالى: ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الحج: ٣٧] وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿من جَاءَ بِالْحَسَنَة فَلهُ خير مِنْهَا وهم من فزع يَوْمئِذٍ آمنون وَمن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فكبت وُجُوههم فِي النَّار﴾ [النَّمْل: ٨٩]، ﴿من جاء بالحسنة ﴾ " وإنما المعنى من جاء ب " لا إله إلا الله " موقنا به قلبه فَلَهُ خَيرٌ يوم القيامة؛ أن يثيبه الله (الجنة)، ويؤمنِّه (مِنْ فَزَعٍ) الصيحة الكبرى وهي النفخ في الصور، ومن جاء بالسيئة أي بالشرك فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون أي يعاقب بما يليق بعمله [٢]

كما قال -سبحانه – وتعالى ﴿من جَاءَ بِالْحَسَنَة فَلهُ خير مِنْهَا وَمن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يجزى الَّذين عمِلُوا السَّيِّئَات إِلَّا مَا كَانُوا يعْمَلُونَ ﴾ [الْقَصَص: ٨٤] أي: من جاء الله يوم القيامة بإخلاص التوحيد، فله خير، وذلك الخير هو الجنة والنعيم الدائم [٣]

محسن اسم فاعل من أحسن الرباعي، وزنه "مُفْعِل"

---

[١] معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية و سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ج٤، ص٩٨

[٢] جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ج١٩، ص ١٣٨

[٣] المصدر السابق، ج١٩ نص ٥٠٧

المعني الثاني: الإحسان يعني الإيمان:

الإيمان في اللغة: التصديق، قال تعالى على لسان إخوة يوسف: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ [يوسف: ١٧] أي: بمصدق لنا.

وأما الإيمان في الشرع: فهو كما فسره أهل السنة والجماعة: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية. [١]

قال الله تعالى: ﴿ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ٨٥] أي: أنهم أحسنوا بإعلان إيمانهم فأثابهم الله بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: الْمُوَحِّدِينَ الْمُؤْمِنِينَ، ماكثين فيها لا يخرجون منها، ولا يُحوَّلون عنها، وذلك جزاء إحسانهم في القول والعمل. وكما قال – سبحانه تعالى -: سَلامٌ عَلَى نُوحٍ

فِي الْعَالَمِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِين ﴾[الصافات: ١٤]، فجَزَاهُ اللَّهُ بِإِحْسَانِهِ الثَّنَاءَ الْحَسَنَ فِي الْعَالَمِينَ) [٢]. المحسنين جمع محسن وهو اسم فاعل من أحسن الرباعي علي وزن مضارعة بإبدال حرف لمضارعه ميمًا وكسر ما قبل الآخر، ورد في الآية مضاف إليه مجرورًا بالياء لأنه جمع مذكر سالم

المعنى الثالث: الإحسان يعني الإخلاص:

ظهر في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢ قال ابن القيم: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ[٣]، قال تعالى: ﴿ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] أي: إِنَّ رَحْمَتَهُ مُرْصَدة لِلْمُحْسِنِينَ المخلصين، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ أَوَامِرَهُ وَيَتْرُكُونَ زَوَاجِرَهُ.

---

[١] شرح الأصول الثلاثة المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ص ١٩٨

[٢] معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (ت ٥١٠هـ)، ج٧ ص ٤٤

[٣] كتاب مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - فصل منزلة الإخلاص، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م. ص٨٨، ج٢

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾ [الْأَعْرَافِ: ١٥٧]

أَحْسَنُ: أفعل تفضيل، من الفعل الثلاثي، وزنه " أفْعَل" لأن الأعمال التي يقوم بها الناس في هذه الحياة متفاوتة في الحسنِ ء من الأدنى إلى الأعلى.

وردت كلمة أحسن في قوله تعالى: ﴿أحسن عملا﴾ خبر لاسم الاستفهام" أيّ "

المعنى الرابع: الإحسان يعني البروالعطف:

أمر الله -سبحانه - تعالى بالإحسان إلى الوالدين، قولا وعملًا، وجعل الإحسان إليهما تاليًا لعبادته عزَّ وجلّ مما يدّل على عظيم شأن برهما وتكريمهما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣]، ثم جعلَ الإحسانَ إلى الأقارب واليتامى تاليًا لهما لعظمِ مكانتهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: " مَن سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ "[١]. كما ساوى الرسول - صلى الله عليه وسلم – بين مكانة كافل اليتيم ومكانته في الجنَّة حين قال: " كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة وأشار مالك بالسبابة والوسطى " [٢].

إنَّ الإحسان لا يختصُّ بالإنسان بل تعداه إلى الحيوان البهيم المأكول وغيره[٣] قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [النحل: ٩٠] ومن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم-: " بينما رجلٌ يمشي فاشتدَّ عليه العطش، فنزل بئرًا فشرب منها ثم خرج فإذا هو

---

[١] صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، (ت٢٦١)، تحقيق مركز البحوث وتقنية المعلومات، دار التأصيل، ط١ ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م، كتاب البر والصلة وتحريم الظلم، ص ٤٢١، حديث رقم ٢٦٣٩

[٢] صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم مج ٣، ص٣٩٣، حديث رقم ٣٠٩

[٣] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٤٤٧

بكلب يلهثُ ويأكلُ الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا، مثلُ الذي بلغ بي، فملا خُفَّهُ ثم أمسكه بفيهِ ثُم رقى فسقى الكلب فشكر الله لهُ وغفر لهُ. قالوا يا رسول وإنَّ لنا في البهائم أجر؟ قال: في كلِ كبد رطبةٍ أجر " [١]ومما جاء في ذات المعنى: عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ - رضي الله عنه - أن رسولَ الله- صلَّى الله عليه وسلم – قال: " إنَّ الله كتب الإحسانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتلة، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ. وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، لْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ" [٢]

أمَّا قوله تعالى: ﴿وبالوالدين إحسانًا ﴾ تقديره: "أحسنوا بالوادين إحسانا" [٣] أي؛ البر بهما والعطف عليهما، قال الله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ **الإسراء: ٢٣]** وعقوقهما من أكبر الكبائر، وفي الحديث الشريف : عن أنسٍ رضى الله عنهُ قال: " سئل النبيُّ - صلى الله عليه وسلم –عن الكبائر قال: " الإشراك بالله، وعُقوقُ الوالدين، وقتلُ النَّفس، وشهادة الزُّور" [٤]

قَرَنَ الله تعالى بر الوالدين. وطاعتهما بعبادته، ولكن حق الله تعالى مقدم على حق الأبوين، وقرن عقوقهما بالشرك به - سبحانه - قال تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

---

[١] صحيح البخاري، كتاب المساقات، باب فضل سقي الماء حديث رقم ٢٣٦٣، ص٢٣٦٩

[٢] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان وأشراط الساعة، ج ٥، ص١٦٨

[٣] التفسير الوسيط في القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ على محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، الطبعة: ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ج١ ص ١٦٦

[٤] صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط ١٤٢٣ - ٢٠٠٢ م، كتاب الشهادات حديث رقم ٢٦٥٣، ص٦٤٥

[النساء: ٣٦]، وقَرَن الشكرَ لهما بشكره سبحانه وتعالى بقوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾[لقمان: ١٤]

اختلف المفسرون فيما تتعلق به "الباء " في قوله: "بالوالدين"، وانتصاب(إحسانا): فجاء على وجوه:

الأول: أن تكون إحسانًا معطوفة على المصدر المنسبك من الحرف المصدري والفعل في (لا يعبدون)﴿وَوَصَّيْنَا الإنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ [الأحقاف: ١٥]

الثاني: أن يكون الجار متعلقًا بـ(إحسانًا) ويكون إحسانًا مصدرًا موضوعًا موضع فعل الأمر كأنَّ قال وأحسنوا بالوالدين.

الثالث: أن يكون العامل محذوفًا ويقدَّر وأحسنوا أو ويحسنون بالوالدين، وينتصب (إحسانًا) على أنه مصدر مؤكد لذلك الفعل المحذوف.

الرابع: أن يكون العامل محذوفًا وتقديره واستوصوا بالوالدين وينتصب (إحسانًا)على أنه مفعول به لذلك الفعل المحذوف.

الخامس: أن يكون العامل محذوفًا وتقديره وصيناهم بالوالدين، وينتصب (إحسانًا) على أنه مفعول لأجله

أي؛ وصيناهم بالوالدين إحسانًا منا أي؛ لأجل إحساننا. وقد جاء الفعل مصرحًا به في قوله تعالى: ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حسنًا ﴾[1].

الوجه المختار عندي هو الثاني لعدم الإضمار فيه ولاطراد مجيء المصدر في معنى فعل الأمر.

(إحسانًا): مصدر قياسيّ لفعل أحسن الرباعيّ، وزنه إفعال أي على وزن الماضي بكسر الأول وزيادة ألف قبل الآخر.

---

[1] البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ على محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، الطبعة: ١٤١٣ هـ ١٩٩٣، ج١، ص ٥٥٢

المعنى الخامس: الإحسان يعني العلم:

تعدُ سورة يوسف -عليه السلام - من أحسن القصص وأطولها لقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]

ومع طولها فهي تأخذ بلبِّ قارئها أو سامعها؛ لسلاسة عباراتها، ورونق معانيها، وجمال مقاصدها، وما تحتويه من معانٍ عظيمة، وحِكَم كثيرة، فتجعل القارئ أو السامع، يجول بفكره معها، ويتأثَّر بما فيها من وقائع، ومن أحداث هذه القصة العظيمة: قصة دخول يوسف عليه السلام السجن ظُلمًا وعدوانًا ودخل معه السجن فتيان كان أَحَدُهُمَا سَاقِيَ الْمَلِكِ، وَالْآخَرُ خَبَّازَهُ، أخذ كل من الفتيين بذكر رؤياه التي رآها على يوسف -عليه السلام -، قال الله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦]

إن الرؤيا شأنها عظيم؛ فلا تُقَصُّ على كل من هبَّ ودبَّ، بل يتخيَّر الصالحين ومن لهم علم ودراية بتأويل الرؤى. كان يوسف -عليه الصلاة والسلام – من العالمين بتأويل الرؤيا وذلك التأويل مِنَّة وهِبة من الله سبحانه وتعالى لقوله: ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ بالإلهام والوحي، وليس من قبيل التكهُّن أو التنجيم. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

أي: نراك من العالمين بعبارة الرؤيا ومن الذين يحسنون تأويلها 'إننا نتوسم فيك الخير والصلاح لإحسانك إلى غيرك من السجناء الذين أنت واحد منهم. قال ابن كثير[١]: قد اشتهر في السجن بالجود والأمانة، وصدْق الحديث، وكثرة العبادة - صلوات الله عليه وسلامه - ومعرفة التعبير، والإحسان إلى أهل السجن، وعيادة مرضاهم، والقيام بحقوقهم.

[١] تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط١ - ١٤١٩ هـ، ج٤، ٣٣٢

المعنى السادس: الإحسان يعني الإنفاق الطيب في سبيل الله:

الإنفاقُ من أعلى الدرجات وأعظمها مكانة عند المولى -عز وجل هو سبب من أسباب تحقق التقوى والإيمان الصادق وتحتاج هذه الدرجات لنفس توَّاقة ومحبَّة لله - سبحانه - وتعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [١١ الحديد] ومنه وقوله تعالى ﴿ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[١٨: الحديد]

والقَرْض الحَسَن: أي الطيب هو القَرْضُ المُسْتَكْمِلُ مَحاسِنَ نَوْعِهِ مِن كَوْنِهِ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ وبَشاشَةٍ في وجْهِ المُسْتَقْرِضِ، وخُلُوٍّ عَنْ كُلِّ ما يُعَرِّضُ بِالمِنَّةِ أوْ بِتَضْيِيقِ أجَلِ القَضاءِ، والمُشَبَّهُ هُنا بِالقَرْضِ الحَسَنِ هو الإنْفاقُ في سَبِيلِ اللَّهِ المَنهِيُّ عَنْ تَرْكِهِ في قَوْلِهِ ﴿وما لَكم ألّا تُنْفِقُوا في سَبِيلِ اللَّهِ﴾[الحديد: ١٠] أكد السعدي ذلك بقوله: " هي النفقة الطيبة الخالصة لوجه الله، موافقة لمرضاة الله، من مال حلال طيب "[١] والقَرْضِ وَ السَلَفِ ونَحْوِهِ: أنْ يُعْطِيَ الإنْسانُ شَيْئًا ويَنْتَظِرَ جَزاءَهُ.

وعد الله المنفقين في سبيله أَحْسَنَ الْجَزَاءِ؛ بأن يضَاعِفَ لَهُم الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، وإلى أضعاف كثيرة. كَما قالَ تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ ومنه قوله تعالى: ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ﴾ [النساء: ٤٠] قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: "مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ كُتِبَتْ لَهُ بِسَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ"[٢] واللهُ يُضاعِفُ لِمَن يَشاءُ أكثَرَ مِن ذلك. قال أهل العلم لا يكون القرض حسنًا حتى تجتمع فيه عشرة أوصاف:

- أن يكون المال من الحلال

---

[١] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة ط١ ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م، ص١٣٨

[٢] تفسير الترمذي، للإمام الحافظ عيسي بن محمد بن عيسى الترمذي، حققه الدكتور بشارة عود معروف، دار الغرب الإسلامي. ط١ ١٩٩٦، ج٣، ص٢٦٧، باب فضل النفقة في سبيل الله.

-أن يكون من أجود المال

-أن تتصدق به وأنت محتاج إلية

-أن تصرف صدقتك على الأحوج إليها

-أن تكتم الصدقة ما أمكنك

- ألا تتبِعها المنَّ

- وأن تقصد بها وجه الله تعالى

- لا ترائي بها النَّاس

-أن تستحقر ما تعطي وتتصدق به إن كان كثيرًا.

- أن يكون من أحب أموالك [١]

كما حثُّ الرسولُ صلَّى الله عليه وسَلَّم على فِعلِ المعروفِ قليلًا كانَ أو كثيرًا، بالمالِ، أوِ الخُلُقِ الحَسن، بقوله: " لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعروفِ شيئًا، ولو أنْ تَلْقَى أخاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ. " [٢]

وردت كلمة (حَسَناً) صفة للقرض حيث شبه الله تعالى الإنفاق في سبيله بإقراضه، ثم حذف المشبه وأبقى المشبه به والجامع بينهما إعطاء شيء بعوض [٣] وهي مصدر حسن يحسن باب كنَصَر.

---

[١] إعراب القرآن وصرفه وبيانه، تصنيف محمود صافي، الناشر: دار الرشد، دمشق- لبنان ١٤١٦هـ -١٩٩٥م مج ١٤، ج٢٧ ص١٤٦

[٢] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب طلاقة الوجه عند اللقاء، حديث رقم ٢٧١٤، مج ٦، ص٢٨٥

[٣] إعراب القرآن وصرفه وبيانه، مج ١٤ ج٢٧، ص١٤٦

المعني السابع: الإحسان يعني المطروالخصب:

قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣١]

أمَّا كلمة "تطيّر" مشتقة من الطير، فأهل الجاهلية كانوا إذا خرج أحدهم لأمر استعمل الطير فإن طار يُمنة تيمَّن به واستمر، وإن طار يُسرة تشاءم به ورجع عن أمره. إذْ كان التطيّر مسيطراً على عقول العرب قبل الإسلام، كذلك نجد التطيّر في سائر الأمم عبر التاريخ وصولاً إلى مجتمعاتنا التي كثيراً ما يتداول أهلها عبارات من مثل: عيني اليُسرى بترف الله يجيرنا من هذا اليوم، أو أذني بترن إذاً هناك من يذكرني بسوء، وغيرها من عبارات التطيّر التي أعتقد أن ألسنتنا تناقلت بعضها، بقصدٍ أو بغير قصد، ونحن جاهلون لعاقبتها. ونحن جاهلون لعاقبتها.

لم يحك الله التطيّر إلا عن أعداء الرُسل كما قالوا لرُسلِهم: إذ تطيّر قوم ثمود بصالح: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [النمل٤٧]، وأعداء عيسى عليه السلام: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ [يس: ١٨].

وقوم فرعون تطيروا بموسى عليه السلام: ﴿إذا جاءتهم الْحَسَنَةُ﴾ أَيْ خَصْبٌ وسعةٌ ورزْقٌ ورخاءٌ قالُوا بغرور لَنا هذِهِ أَيْ هَذَا لَنَا بِمَا نَسْتَحِقُّهُ[1] وبكدنا واجتهادنا وامتيازنا على غيرنا ناسين فضل الله عليهم، ولطفه بهم، غافلين عن شكره على نعمائه، وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ أَيْ جَدْبٌ وَقَحْطٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسى أَيْ؛ يقولوا: إنما جاءنا بسبب مجيء موسى، واتباع بني إسرائيل له. لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف ١٣١] وليس كما قالوا، بل إن ذنوبهم وكفرهم وعدم شكرهم هو السبب في ذلك. قال الله تعال: ﴿ **لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُم وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** ﴾

---

[1] تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ج ٣، ٤١٤

[إبراهيم: ٧]، ولْحَسَنَةُ يُعبّرُ بها عن كل ما يسُرُّ من نعمةٍ تنال الإنسان في نفسهِ وبدنه وأحواله والسيئة تُضَادُّها.

المعنى الثامن: الإحسان يعني التمكين:

وعد الله بني إسرائيل(الحسنى) أي: التمكين في الأرض، في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشارِقَ الْأَرْضِ وَمَغارِبَهَا الَّتِي بارَكْنا فِيها وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنى عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ بِما صَبَرُوا وَدَمَّرْنا مَا كانَ يصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَما كانُوا يَعْرِشُون ﴾ [الأعراف ١٣٧]

والكلمة: هي القول [١]، هنا يحتمل معنيين الأوَّل: أن يكون المراد به اللفظ الذي وعد الله بني إسرائيل على لسان موسى في قوله: ﴿عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٢٩]

الثاني: على لسان إبراهيم وهي وعد تمليكهم الأرض المقدسة، فتمام الكلمة تحقق وعدها، شبّه تحققها بالشيء إذا استوفى أجزاءه وتمام الكلمة بهذا المعنى ظهور تعلقها التنجيزي في الخارج على نحو قول موسى: يا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ، [المائدة: ٢١]، ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة، فإذا امتُحِن صبر، وإذا صبر مُكِّن؛ ألا ترى أنّ الله عزّ وجلّ امتحن إبراهيم عليه السلام ثمّ مكَّنه، وامتحن موسى ثمّ مكَّنه، وامتحن أيوب ثمّ مكَّنه، قال الله تعالى: ﴿ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٤]، وامتحن سليمان -عليه السلام - ثمّ مكَّنه فآتاه ملكاً، وامتحن يوسف -عليه السلام- قال تعالى: (وكَذلك مكّنّا لِيُوسُفَ في الأرضِ﴾، ما بعد الضيق إلا الفرج،؛ بأن أثابهم الله الحسنى بتمكينهم في الأرض. الملمح الدالي قُرِن الإحسان بالصبر.

---

[١] تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت ط١ – ١٤١٩، ج١١، ص٢٣٣

الحسنى: تأنيث الأحسن وتحولت (الحسنى) إلى المصدر كالتقوى والبلوى [١]. وهي صفة للكلمة

المعنى العاشر: الإحسان يعني مضاعفة الثواب:

يبين – الله سبحانه وتعالى- سعة جودة ورحمته وعفوة؛ بأنَّه لا ينقص أحدا من ثواب عمله شيئا مهما ضؤل هذا الشيء بل بحسب حالها ونفعها وحال صاحبها فخرج الكلام على أصغر شيء يعرفه الناس وهو الذرة [٢] قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠)] كما قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ، فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً، وَإِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَكَفى بِنا حاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]

عن أبي هريرةَ -رضي الله عنه _: قال: قال رسول الله رضي الله عنه: " من هم بحسنةٍ فلم يعْمَلها، كتبت له حسنة، ومَنْ هم بحسنةٍ فعملها كُتبتْ له إلى سبعمائة ضعف، ومَنْ هم بسيئةٍ فلم يعملها لم تكتبن، وإن عملها كتبتْ " [٣]

كما خص- سبحانه- الذين صبروا على طاعته، واجتنبوا معصيته، أوفوا بعهده، بجزاء أفضل وأكرم مما كانوا يعملونه في الدنيا من خيرات وطاعات لقوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ۬وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل ٩٦]

قسَمٌ من الله تعالى، مؤكدا باللام لَيجْزِيَنَّهم ﴿ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: بمضاعفة الثواب الذي جاء جوابًا مقترنا بفعل الحسنات قال تعالى: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [سورة الأنعام: ٦٠] لترغيبهم وثباتهم على فضيلة الصبر

---

[١] الجدول ج ٤، ص٨٠

[٢] التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى، ج٢، ص١٥٢

[٣] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان وأشراط الساعة، ج١، ص٤٦٩

على الطاعات ومنه قوله تعالى: ﴿ مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْه ﴾، قال الشوكاني: وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ يُجَازِيهِ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ إِلَّا مَا كانُوا إِلَّا مِثْلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾، فَحُذِفَ الْمُضَافُ، وَأُقِيمَ الْمُضَافُ إِلَيْه[١]

والحسنة: اسم جنس يشمل جميع ما أمر الله به ورسوله، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله تعالى وحق عباده، شرطها أن يأتي بها العامل، لأنه قد يعملها، ولكن يقترن بها ما لا تقبل منه أو يبطلها، فهذا لم يجيء بالحسنة.

وقوله بِأَحْسَنِ نعت لمحذوف، أي: بجزاء أحسن من عملهم الذي كانوا يعملونه في الدنيا، والباء بمعنى على [٢] قرأ الجمهور السبعة "حسنةً" بالنصب على نقصان "كان" واسمها مضمر تقديره وإن تك زنة الذرة حسنة، وقرأ نافع وابن كثير "حسنةٌ" بالرفع على تمام "كان" التقدير: وإن تقع حسنة أو توجد حسنة، يضاعفها [٣]، وهي جواب الشرط .

المعنى الحادي عشر: الإحسان يعني المكافأة:

قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠] قال الزمخشري: وَمَعْنَى حَسَنَةٍ مُكَافَأَةٌ فِي الدُّنْيَا بِإِحْسَانِهِمْ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهَا"[٤]. حيث تعددت المكافئة وتنوعت عن أهل العلم منهم من قال إنَّها:

---

[١] فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق - بيروت الطبعة الأولى - ١٤١٤ هـ، ج٤، ص ٢١٧

[٢] التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي

[٣] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية، (ت ٥٤١). الناشر: دار ابن حزم، ج١، ص٥٣٩

[٤] البحر المحيط في التفسير المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر - بيروت، طبعة: ١٤٢٠ هـ، ج٦، ص ٥٢٦.

١-تضعيف الأجر إلى العشر.

٢-النصر والفتح.

٣-الرزق الحسن.

٤- الْجَنَّةُ

أيًا كان نوعها فهي كرامة ومِنَّة من الله قال -سبحانه تعالى- ﴿ مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧]

وكما قال تعالى: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما [النساء: ٤٠]

وقال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: "من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف". [١]

المعنى الثاني عشر: الإحسان يعني صلوات الخمس:

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ﴾ [هود: ١١٤]

جُمْلَةُ: ﴿إِنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ﴾ مَسُوقَةٌ مَساقَ التَّعْلِيلِ لِلْأمْرِ بِإقامَةِ الصَّلَواتِ، وتَأْكِيدِ الجُمْلَةِ بِحَرْفِ إنَّ لِلِاهْتِمامِ وتَحْقِيقِ الخَبَرِ، و(إنَّ) فِيهِ مُفِيدَةٌ مَعْنى التَّعْلِيلِ والتَّفْرِيعِ، وهذا التَّعْلِيلُ مُؤْذِن بِأنَّ اللَّهَ جَعَلَ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ،

[١] الجامع الكبير، للإمام الحافظ عيس بن محمد بن عيسى الترمذي، حققه الدكتور بشارة عود معروف، دار العرب الإسلامي. ط١ ١٩٩٦، ج٣، ص٢٦٧، كتاب أبواب فضائل القرآن، باب فضل النفقة في سبيل الله.

ومُشْعِر بِعُمُومِ أصْحابِ الحَسَناتِ لِأنَّ الشَّأْنَ أنْ تَكُونَ العِلَّةُ أعَمَّ مِنَ المَعْلُولِ مَعَ ما يَقْتَضِيهِ تَعْرِيفُ الجَمْعِ بِاللّامِ مِنَ العُمُومِ [١].

قال تَعَالَى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ قال البغوي: "مِنَ الصَّلَاةِ إِلَى الصَّلَاةِ وَمِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ وَمِنْ رَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ "[٢]، كون الصلوات تكفر ما بينها من الذنوب هذا يُصدَّقُ ما في الخبر من تكفير الصلوات للذنوب.

عن أبي هريرة – رضى الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " أرأيتم لو أن بباب أحدكم نهرا يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، هل يبقي من درنه شيئا؟ "قالوا: لا يا رسول الله: قال: وكذلك الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الذنوب والخطايا" . [٣]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: " أنَّ رجلًا أصاب من امرأةٍ قُبلةً، فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأخبرهُ، فأنزل: " وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ " فقال الرجلُ: يا رسُول اللهِ، إلي هذا؟ قال: لجميعِ أُمتي كلِّهم" [٤]

المعنى الثالث عشر: الإحسان البيان والوضوح:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[الفرقان: ٣٠]

وَمَعْنَى كَوْنِهِ أَحْسَنَ، أَنَّهُ أَحَقُّ فِي الِاسْتِدْلَالِ، فَالتَّفْضِيلُ لِلْمُبَالَغَةِ إِذْ لَيْسَ فِي حُجَّتِهِمْ حُسْنٌ، وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ أَيْ بِحُجَّةٍ وَشُبْهَةٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بالذي هو الحق وَأَحْسَنَ

---

[٢] تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (ت ٥١٠ هـ)، ج٢، ص٢٠٤

[٣] صحيح البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس، حديث رقم ٢٢٩، ص١٣٩

[٤] صحيح البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس، رقم ٥٢٦، ص١٣٧

تَفْسِيراً من مَثَلِهِم (١)، أيْ: لَا يَقُولُونَ قَوْلًا يُعَارِضُونَ بِهِ الْحَقَّ، إِلَّا أَجَبْنَاهُمْ بِمَا هُوَ الْحَقُّ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وبأبْيَنَ وأَوْضَح وأَفْصَحَ مِنْ مَقَالَتِهِمْ

إلا أن (مِنْ) حذفت؛ لأنَّ في الكلام م دليل عليها، كقولك: رأيت زيدًا وعمرًا فكانّ عمرُ أحسن وجهًا، كان الكلام فيه دليل على أنك تريد: مِنْ زيدٍ. وأحسن تفسيرًا معطوفة على الحقَّ، وإلا جئناك استثناء مفرغ في محل نصبِ على الحال: أيْ: لا يأتُونَك بمثلٍ إلا في حال إيتائنا إياك ذلك. (٢)

المعنى الرابع عشر: الإحسان يعني الصفح والصبر على الأذى:

من أجلّ أنواع الإحسان: الإحسان إلى من أساء إليك بقولٍ أو فعل، قال الله تعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَصِفُونَ ﴾ [٩٦: المؤمنون] ومن مكارم الأخلاق، التي أمر الله: رسُولَه بها، الصفح والصبر عن الإساءة، ومقابلتها بالإحسان أي: إذا أساء إليك أعداؤك، بالقول والفعل، فلا تقابلهم بالإساءة، مع أنه يجوز معاقبة المسيء بمثل إساءته، ولكن ادفع إساءتهم إليك بالإحسان منك إليهم فإن ذلك فضل منك على المسيء قال تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]

كَمَا قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَما يُلَقَّاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ [فصلت: ٣٤- ٣٥] وقال تعالى: ﴿ ويدرؤون بِالْحَسَنَة السَّيئَة) [الرعد: ٢٢] أي بالمعروف وفي ذات المعنى قوله عزَّ وجلّ: ﴿ وَلَا تستوي الْحَسَنَة وَلَا السَّيئَة ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أحسن﴾[فصلت: ٣٤]

الملمح الدلالي: أن الله أعدَّ للصابرين والعافيين عن النَّاس أجرًا عظيمًا.

(١) معاني القرآن وإعرابه، لأبي اسحق إبراهيم بن السَّري، (ت٣١١هـ)، شرح وتحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شبلي، الناشر: عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨- ١٩٨٨م، ج٣، ص٦٧

(٢) فتح القدير الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، ج٤، ص٨٦

المعنى الخامس: الإحسان يعني الغنيمة والشهادة:

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة ٥٢] والمراد بالحسنيين الغنيمة والشهادة[١]

وقوله: ﴿ تَرَبَّصُونَ): التربص بمعنى الانتظار في تمهل يقال: فلان يتربص بفلان الدوائر، إذا كان ينتظر وقوع مكروه به، أي: قل يا محمد لهؤلاء المنافقين، الذين وصفتُ لك صفتهم وبينت لك أمرهم إنكم ما تنتظرون بنا إلا إحدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما أحسن من جميع العواقب، وهما إما: النصر على الأعداء وفي ذلك

الأجر والمغنم والسلامة، وإما أن نقتل بأيديهم وفي ذلك الشهادة والفوز بالجنة والنجاة من النار .

كما جاء الإحسان بمعنى النصر والغنيمة في قوله تعالى﴿ إن تمسسكم حَسَنَة تسؤهم وَإن تصبكم سَيِّئَة يفرحوا بهَا ﴾ [آل عمران: ١٢٠]

وَفِي ذات المعنى قوله تعالى: ﴿{مَا أَصَابَك من حَسَنَة فَمن الله وَمَا أَصَابَك من سَيِّئَة فَمن نَفسك﴾ [النساء: ٧٩].

وَالْحُسْنَى تَأْنِيثُ الْأَحْسَنِ. وَوَاحِدُ الْحُسْنَيَيْنِ حُسْنَى، وَالْجَمْعُ الْحُسْنَى. وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَنْطِقَ بِهِ إِلَّا مُعَرَّفًا. لَا يُقَالُ: رَأَيْتُ امْرَأَةً حُسْنَى. اللفظ في الآية استفهام، والمعنى توبيخ [٢]

المعنى السادس عشر: الإحسان يعني: تمام الخَلْق:

ظهر في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ

---

[١] الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ ج ٨، ص ١٦٠.

[٢] المصدر السابق الصفحة نفسها

بِالدِّينِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٤]في أحسن تقويم: أحسن صورة أي: تام الخلق، متناسب الأعضاء، منتصب القامة، لم يفقد شيئًا مما يحتاج إليه ظاهرًا أو باطنًا، خَلَقَهُ حَيًّا عَالِمًا، قَادِرًا مُتَكَلِّمًا، سَمِيعًا بَصِيرًا، مُدَبِّرًا حَكِيمًا .

ومع هذه النعم العظيمة، التي ينبغي منه القيام بشكرها، فأكثر الخلق منحرفون عن شكر المنعم، مشتغلون باللهو واللعب، قد رضوا لأنفسهم بأسافل الأمور، وسفساف الأخلاق، فردهم الله في أسفل سافلين، أي: أسفل النار، موضع العصاة المتمردين على ربهم، إلا من (منَّ) الله عليه بالإيمان والعمل الصالح، والأخلاق الفاضلة العالية، فلهم المنازل العالية، و{أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} أي: غير مقطوع.[1]

المعني السابع عشر الإحسان يعني الجنة:

قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١١]

﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ أي؛ الذين أسلموا وقاتلوا وأنفقوا من قبل الفتح وبعده، كلهم وعده الله الجنة، وهذا يدل على فضل الصحابة [كلهم]، - رضي الله عنهم-، حيث شهد الله لهم بالإيمان، فوعدهم الجنة،

ثم حثهم على النفقة في سبيله، لأن الجهاد متوقف على النفقة فيه، وبذل الأموال في التجهز له، لذلك قال تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ وهي النفقة الخالصة لوجه الله، حيثُ سماها قرضا، والمال ماله، والعبد عبده، ووعد بمضاعفته أضعافا كثيرة، هو الكريم الوهاب، وتلك المضاعفة محلها وموضعها يوم القيامة، يوم كل يتبين فقره، ويحتاج إلى أقل شيء من الجزاء الحسن،

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ج١، ص٩٢٩

ولذلك قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ [الكهف: ٨٨]. أي الجنة (١)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى سَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرً فله المثوبة الحسنى وهي الجنة. وفي آية أخري قال تعالى:

﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حسنًا﴾[الكهف: ٢]، أجرًا حسنًا أي؛ الجنة

الحُسْنَى صفة لموصوف محذوف؛ أي: بالمثوبة الحسنى التي هي الجنة، التي أعدها الله لعباده الصالحين .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسُول الله - صلى الله عليه وسلم –: " يقولُ الله عزَّ وجلَّ: أعددْتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأتْ، ولا أذن سمعتْ، ولا خطر بقلب بشرٍ " (٢)

مصْداقُ ذلك قوله تعالى: "﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧].

الإحسان باب من أبواب دخول الجنة، قد حرَّض الله -عزَّ وجلَّ -على السباق إليها، وحدد شروطها فقال جلَّ شأنه: ﴿ (وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين ﴾[١٣٤: آل عمران]

(١) تفسير الطبري تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠، ص٢٤٩

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنَّة، وصفة نعيمها وأهلها، ص ٥١

المعني الثامن عشر: الإحسان يعني العمل الصالح :

الآيات الدالة على هذا المعنى في القرآن الكريم كثيرة ومتعددة فمنها :

١- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٣]

٢- قال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣]

٣- وقال الله سبحانه: ﴿ وقال الله سبحانه: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [هود: ٧]

٣- قال تعالى: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦]

٤- - قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ [سورة الرعد ٢٩]

٥- قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [٨٤: القصص] فإنَّ لهذا العمل المُتقبل شرطين: أحدُهُما أن يكون خالصًا لله وحدهُ والآخر صوابًا موافقًا للشريعة، قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم -: " منْ عمل عملًا ليس عليه امرنا فهو رد " [١]

إن أحسَن العبد العملَ مع الله تعالى أحسَن الله إليه؛ لأنَّ الجزاء من جِنس العمل، فلا عجب أنَّ أول المستفيدين مِن الإحسان هم المحسِنون أنفسهم، يجنون ثمراته فيجدون السَّكينةَ والراحة والطُّمأنينة.

---

[١] صحيح مسلم، كتاب القضاء والشهادات، باب من أحدث أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد، ص٤٧٩، حديث رقم ١٧٦٦

فوائد الإحسان:

-الإحسان وسيلة لتقوية بنيان المجتمع وتماسكه وانضباطه، فبه تقوى المجتمعات وتتماسك وتظهر بقوة واحدة. [١]

-الإحسان يزيد العبد قرباً من ربه -عز وجل

- تقوية العلاقات واستمرارها بين الناس

- سبيل لنيل محبة ورضا الله -تعالى-.

- ترفع درجة المؤمن يوم القيامة.

- البركة في العمر والأهل والمال

- نيل الأجر العظيم عند الله -تعالى- يوم القيامة.

- الإحْسَان وسيلة لإزالة ما في النُّفوس مِن الكدر وسوء الفهم وسوء الظَّنّ ونحو ذلك

- الإحْسَان إلى النَّاس سببٌ مِن أسباب انشراح الصَّدر

[١] موسوعة الأخلاق الإسلامية إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف الناشر: النشر الدرر السنية ط١، ١٤٣٣١ هـ، ص٦٤.

الخاتمة

تناولت الدراسة المظاهر الدلالية والاشتقاقية للإحسان في القرآن الكريم وتمخضت عنها النتائج التالية:

١- إنَّ الإحسان جاء في القرآن الكريم لمعانٍ كثيرة متعددة متمثلة في معني: (التوحيد والإيمان والإخلاص و" البر والصلة "و العلم والإنفاق في سبيل الله و" المطر والخصب "، والتمكين ومضاعفة الثواب والمكافأة والصلوات والصفح والصبر على الأذى و" البيان والوضوح" و" الغنيمة الشهادة " وتمام الخَلْق والجنَّة والعمل الصالح).

٢- تنوعت الاشتقاقات فجاءت مصدرًا: (الإحسان، إحسانًا)، واسم فاعل (محسن، محسنين) واسم تفضيل: (أحْسَن) وصفة: (حسنة) أكثرها ورودًا اسم الفاعل.

٣ -الأعمال تتفاضل باقترانها بالإحسان لذلك جاء في مواضع كثيرة، تارة مقرون بالتوحيد والإيمان وتارة بالإنفاق في سبيل الله وتارة بالبر، تارة بالصبر والصفح وبالعمل الصالح مطلقًا.

٤- الإحسان صفة ثابتة لله عز وجل في الكتاب والسُنة النبوية قال الله تعالى: ﴿ الذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلقَ الإِنسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: ٧].

٥-الإحسان سبيل لنيل محبة ورضا الله، والفوز بالجنَّة.

٦-الإحسان داعم لتقوية العلاقات واستمرارها بين الناس وسبيل لتمكين في الأرض

٧- وعد الله المحسنين، أحسن الجزاء بأن يضاعف لهم الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة، إلى أضعاف كثيرة .

٨- الإحسان إلى الخلق يُورِث المحسن، انشراحَ الصدر، وسرور النفس، والطمأنينة ويزيل الحقد والحسد من نفوسهم.

التوصيات:

توصي الباحثة بدراسة صفة الإحسان دراسة بلاغية واجتماعية لأهميتها وعظيم شأنها في إصلاح الفرد والمجتمع.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- أساس البلاغة المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨.

٢- إعراب القرآن وصرفه وبيانه، تصنيف محمود صافي، الناشر: دار الرشد، دمشق- لبنان ١٤١٦هـ -١٩٩٥م مج ١٤. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب طلاقة الوجه عند اللقاء، حديث رقم ٢٧١٤، مج ٦، ص٢٨٥

٣- بحر المحيط في التفسير المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر - بيروت، طبعة: ١٤٢٠ هـ

٤-التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن، الدار التونسية للنشر، طبعة: ١٩٨٨م

٥- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت ط١ – ١٤١٩.

٦- التفسير الوسيط في القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ على محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، الطبعة: ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م

٧- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى.

٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م

٩- جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٠- الجامع الكبير، للإمام الحافظ عيس بن محمد بن عيسى الترمذي، حققه الدكتور بشارة عود معروف، دار العرب الإسلامي. ط١ ١٩٩٦.

١١- الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤.

١٢- سنن النسائي، أحمد بن شعيب بن سنان أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة، النشر: دار الحضارة للنشر، ط٢، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، كتاب الإيمان وشرائعه.

١٣- شذا الرياحين في بيان مراتب الدين، جمع وترتيب أبو أحمد عبد العاطي الذهبي، ط ١٤١٣.

١٤- شرح الأصول الثلاثة، تأليف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى - ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

١٥-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

١٦- صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط ١٤٢٣ -٢٠٠٢ م.

١٧- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، (ت٢٦١)، تحقيق مركز البحوث وتقنية المعلومات، دار التأصيل، ط١ ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨- ١٩٨٨م.

١٨- علم الدلالة، أحمد مختار، الناشر: عالم الكتب ط١ ١٩٨٥م.

١٩- علم الدلالة بين التنظير والتطبيق، أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية –بيروت ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٢٠- فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق - بيروت الطبعة الأولى - ١٤١٤ هـ، ج٤، ص ٢١٧

٢١- كتاب التعريفات، تأليف: على محمد بن علي الجرجاني (ت٨١٦هـ) تحقيق: عبد المنعم الحنفي، دار الرشاد- القاهرة١٩٩١م.

٢٢- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي منشورات محمد على بيضون دار الكتب العلسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور. الناشر: دار صادر- بيروت.

٢٣- كتاب مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - فصل منزلة الإخلاص الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

٢٤- لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم أبي القاسم بن منظور (ت٧١١هـ، طبعة دار المعارف القاهرة ١٩٩١م.

٢٥- محرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية، (ت ٥٤١). الناشر: دار ابن حزم، دون طبعة.

٢٦- معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)

وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ط٤، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٢٧- معاني القرآن وإعرابه، لأبي اسحق إبراهيم بن السَّري، (ت٣١١هـ)، شرح وتحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شبلي، الناشر: عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨- ١٩٨٨م

٢٨- معجم مقايس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر ١٣٩٩هـ-١٩٧٩ م.

٢٩- المفردات في غريب القرآن، تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد الاصفهاني، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى.

٣٠- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم-، إعداد مجموعة من المختصين بإشراف: صالح عبد الله بن حُميد، وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن ملُّح. الطبعة الأولى.